

حاسماً في هذه المعركة البحرية الكبرى ، مكنهم من الانتشار في البحر الأبيض المتوسط وفتح جزره والإغارة على بعض مدنه الساحلية ، وبالجملة فرضوا وجودهم المؤثر فوق مياه البحر الأبيض المتوسط ، ولم يعد ذلك البحر حكراً للبيزنطيين أو الروم ، بل ظل النزاع دائماً بينهم وبين العرب . وبالرغم من تلك المعارك البحرية ، فقد نقل العرب معهم الدين الإسلامي والثقافة العربية والفنون العربية وخبراتهم الحضرية إلى جزر وشواطئ البحر الأبيض المتوسط ، وخاصة في صقلية وكريت وبعض المدن الإيطالية الجنوبية المطلة على البحر المتوسط . وتغلغل الحاضرة العربية في شبه جزيرة أيبيريا ، الأندلس ، التي فتحها العرب (الأمويون) بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير واستقروا فيها طوال سبعة قرون . وفي البحر المتوسط انتشر الأسطول العربي للأمويين والأندلسيين الذي أنشأه عبد الرحمن الناصر أمير الأندلس ، وكذلك الأسطول الفاطمي المنافس له .

وبالإضافة إلى معركة ذات الصواري ، كشف الدكتور شوقي ضيف ، في كتابه « البطولة في الشعر العربي » عن قصيدة للبحري من أدب البحر ، ذكرت معركة أخرى قامت بين الأسطول العربي (العباسي) بقيادة أحمد بن دينار والأسطول الرومي سنة ٢٣٢ هـ ، حقق فيها العرب انتصاراً حاسماً أيضاً ودمروا الأسطول الرومي تدميراً تاماً . ويقول الدكتور شوقي ضيف إن هذه المعركة البحرية الهامة لم تسجلها كتب التاريخ العربية « وإنما سجلها المؤرخون البيزنطيون ، وأن البحري لخليق بالثناء حين سجل هذا المجد الحربي لابن دينار وأسطوله في إحدى مدائحه له ، وقد صورته يتقدم الأسطول ذات صباح في موكبة الميمون »^(١٠) وهذه هي قصيدة البحري التي تصور تلك المعركة البحرية ، نوردها كنموذج لأدب البحر الحربي عند العرب ، وهو أدب حافل بالقصائد الماثلة المعبرة عن معارك العرب الحربية في البحر ، نكتفي منه بقصيدة البحري ، حتى لا يتشعب بنا الموضوع :

غدت على الميمون صبحاً وإنما غدا الموكب الميمون تحت المظفر
إذا زجر النوى فوق علاته رأيت خطيباً في ذؤابة منبر
يغضون دون الاشتيام^(١١) عيونهم وفوق السباط للعظيم المؤمر

(١٠) الدكتور شوقي ضيف ، البطولة في الشعر العربي ، ص ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ .

(١١) القائد أو أمير البحر .